ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أصداء العاطفة القديمة في الشعر الحديث:

(دراسة في قصيدة مُختارة للشاعر أحمد الخوالدة)

(من إعداد الباحثة: بشرى محمد محيل الحويطات)

تاريخ استلام البحث: 1 / 7 / 2025 تاريخ قبول البحث: 1 / 9 / 2025

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الملخص

منذ بزوغ فجر الشعر العربي والعاطفة هي المحرك الرئيس لنسج الشعر، وألوانه، وصوره؛ وذلك لارتباطها الوثيق بفيضٍ وجدانيّ عارم، تتضح معالمه في بكاء امرئ القيس الأطلال، وشجاعة عنترة، وشوق الخنساء لمن رحل وترك في قلبها جمرات الحنين تشتعل كلما حرك النسيم ذكراه، فتذوب الروح بين لظى الفقد، والدمع الذي لا يهدأ، حتى أضحت العاطفة سمة مركزية يتميز بها وجدان الشعر العربي عن غيره.

وعلى الرغم من تطور العصور، وتوافد مُدخلات الحياة الجديدة، لا تزال العاطفة الشعرية نبضاً لا يخبو، يربط الوجدان القديم بالحديث، حيث يعلو صدى الحنين القديم في وجدان الشاعر الحديث؛ فيستلهم من رصيد القدماء ما يوثق تجربته الوجدانية، ويُقوي دوائر التعبير عن ذاته والآخرين بل عن الوجود بأسره.

لم تنقطع أواصر العاطفة القديمة رغم الحداثة التي أصابت قلب الشعر العربي، بل أُعيد طرحها بقوالب جديدة تنسجم مع التحولات التي أصابت الأفكار، والعادات الاجتماعية، والفنية؛ وذلك لأن الشاعر العربيّ الحديث وإن تحرر من عمود الشعر العربي وأوزانه، فإنه لم يتحرر من حاجته للتعبير عن كل محراث شوق يُداعب وجدانه، فما له إلا أن يستدعي صور القدماء وأصداء أصواتهم؛ ليُعبر عن هموم عصره؛ علّه بهذا يصل إلى مرامه.

فيأتي هذا البحث ليُفصح عن أثر العاطفة التراثية في الشعر الحديث، من خلال دراسة تطبيقية متبعة فيها الباحثة المنهج الوصفيّ التحليليّ، لدراسة العاطفة من القديم و تأثيرها في الشعر الحديث، كما تلمح أسلوب المقارنة؛ لبيان أوجه التشابه والاختلاف بين صور العاطفة عند القدماء ونصوص مُختارة للشاعر أحمد الخوالدة.[1] إلا أن التركيز يكون على إعادة صياغة انفعال القديم بأسلوب أكثر حداثة، كما اعتمدت

[1] أحمد محمود الخوالدة: شاعر من أصل أردنيّ، وُلد في محافظة الطفيلة، بتاريخ :(14. 2. 1999)، حاصل على شهادة الماجستير، ويعمل معلم للغة العربية، وله عدة مؤلفات مثل: (ديوان النبي العاشق وهو أول مؤلفاته، وديوان سَورَة الشِّعر)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الباحثة على المنهج التطبيقيّ الفنيّ؛ وذلك من خلال تحليل النصوص المُختارة لتوضح أثر العاطفة التراثية في الشعر الحديث.

لم يكن هذا البحث الأول من نوعه الذي يتناول العاطفة وصداها في الوجدان العربي الحديث، إلا أنها تُعد هذه المحاولة البحثية الأولى التي تتناول هذا الشاعر، والغوص في النماذج المُختارة من شعره، راجية من الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول:

. صور العاطفة في نماذج من الشعر العربي القديم:

ما تزال العاطفة قلب الشعر العربيّ، ونبضه الحي، فهي القوة المحركة والمنتجة للقصيدة، ففي الشعر الجاهليّ كانت الأطلال اللبنة التي تستند القصيدة عليها، فيبكوا الديار كما بكاها ابن خِذام*، لذلك نجد الشوق طاغياً، والحنين يتوسد القصائد، فيفيض المعنى من بين السطور وكأنه دمعة لا تهدأ أو أنين ينسكب من قلب الشاعر، إلى قلب من يقرأ دون قيود، وهذا ما يتجسد في معلقة امرئ القيس، حيث قال في مطلعها:

قِفا نَبكِ من ذِكْرى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ ([1])

لم يكن الحنين عند امرئ القيس مجرد لحظة عابرة، بل هي أعمق؛ وكأنها تجربة وجدانية حيّة تتفاعل لتعكس شوق الشاعر العميق، مما يدفع القارئ ليشارك الشاعر شعوره، ويتأثر بتلك الذكريات التي يبكيها الشاعر، فليس المؤلم هي الذكريات، المؤلم حقاً كيف لك أن تحيا دون من معك صنعوها.

---

* ورد ذكره في قصيدة لأمرئ القيس ، حيث قال:

عوجا عَلى الطللِ المَحيلِ لِأَنَن نَبكي الدِيارَ كما بَكى اِبنُ خِذامِ

(1) النحاس، أبي جعفر:(شرح ديوان امرئ القيس لأبي جعفر النحاس ت(338هـ)، ت:(د. عمر الفجاوي)، وزارة الثقافة . عمان، 2002، ص 11.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الحنين صفة تسكن الأرواح لأشخاص غابوا عنك، إما باختيارهم، أو اختيار القدر، فيبقى حضورهم في القلب، وتظل ذكراهم تسكن زوايا الروح كما يسكن الضوء العتمة، فها هي الخنساء تبكي أخاها الذي غيّبهُ القدر عنها، فكانت العاطفة مكثفة والحزن أعمق، حيث بكته قائله:

قَذىً بِعَينِكِ أَم بِالعَينِ عُوّارُ أَم ذَرَفَت إِذ خَلَت مِن أَهلِها الدارُ

كَأَنَّ عَيني لِذِكراهُ إِذا خَطَرَت فَيضٌ يَسيلُ عَلى الخَدَّينِ مِدرارُ ([1])

تُعتبر قصائد الخنساء من النماذج الشعرية التي يتجلى فيها حزن العاطفة في الشعر القديم، فقد حملت في طيات قصائدها لوعة الفقد، وأسى الغياب، فهي تبدأ فيما سبق بطرح تساؤلات، ترى فيها للوهلة الأولى استفساراً، وما إن تمعن النظر فيها، تجد في باطنها انكساراً نفسياً وعمقاً وجدانياً؛ حيث قالت: "قذى بعينيك أم بالعين عوار"، لتبين أن هذه الدموع الذي لا ينقطع تسكابها، وكأن الحزن أضحى نهراً جريانه دائم.

فتتجلى صورة أخيها صخر رمز القوة والسند الذي غيّبه الموت، لكنها حاضرة في ذاكرتها، فمتى ما ذعذع النسيم ذكراه تجددت أحزانها، فيصبح البكاء فعلاً دائماً لا ينقطع ما دامت حية، مما يعكس صدق تجربتها الوجدانية؛ فيتحول الرثاء إلى صوت إنساني يعبر عن الإخلاص الصادق، والوفاء النقيّ، فتؤكد هذه الأبيات أن العاطفة عند الخنساء أعمق من أن تكون جراء لحظة انفعال، بل أعمق حتى تصبح حالة وجودية ممتدة؛ جعلت من شعرها مرجعاً أصيلاً، يوضح العاطفة التي تنتج جراء الفقد، فيولد الرثاء.

لم تولد العاطفة من رحم الفقد فحسب، حيث تلمحها كذلك عند فارس شجاع، فتقوده العاطفة، لأن يدافع، فالباحثة ترى أن كل شجاع عاطفي، وليس العكس، حيث تلمح في أبيات العاطفي الشجاع، حماسة وفخراً تقوده ليبدع لنا أبياتاً تنضح بصدق العاطفة، وقوتها، فها هو عنترة في قلب المعركة، إلا أنه تذكرها قائلاً:

(1) الشريد، تماضر بنت عمرو بن الحارث: (ديوان الخنساء)، ش(حمدُو طمّاس)، دار المعرفة، بيروت لبنان،2009م، ط(4)، ص45

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وَلَقَـد ذَكَرتُـكِ والرِّمـاحُ نَواهِـلٌ مِنّي وبِيضُ الهِنـدِ تَقطُرُ مِن دَمي

فَوَدَدتُ تَقبيـلَ السُـــيوفِ لأَنَّهـا لَمَعَت كَبارِقِ ثَغرِكِ المُتَبَسِّـمِ ([1])

في الوابل المتدفق، والمهالك تحيط بالشاعر يمنة ويسارا، يتحول الاشتياق إلى شعلة تتوحد فيها العاطفة والبطولة، حيث يتحول ذكر المحبوب الغائب إلى قوة تدفع الشاعر لأن يضحي في كل أمر يعزه؛ فدمه الذي ينهمر بغزارة تحول من رمز الألم، إلى علامة وفاء لا تُقاس إلا بالحب الصادق، وكأن الحرب بترابها المتناثر، ووابل الرماح المتدفق، تخضع لشغف القلب ومرامه.

وفي خضم هذا المشهد الذي يشيب منه الرضيع، تتلون بالضياء ابتسامة المحبوب، فتمنح للمعاناة معنى وجمالاً، فبعد أن كانت معركة دامية، أصبحت قصيدة وفاء، وحب ملحميّ؛ حيث ارتبط الخطر بالحنين، والجمال بالموت، فيحول الشاعر كل ألم أعتصر قلبه إلى شعورٍ سامٍ، وكل دمعة إلى نورٍ يمتد أفقه إلى الفضاء الخارجي، وهو في قلب المعركة.

وبهذه الأمثلة يتضح أن العاطفة في الشعر القديم جوهر لا يمكن الإستغناء عنه، فهو المحرك ليبدع الشاعر، كما ترتبط بوجدان الإنسان بشكل مباشر، وذلك في كل أغراض الشعر، في الشوق، والفقد، والفخر، حتى الهجاء فيه عاطفة الكره.

لذلك ذهب بعض النقاد إلى أن العاطفة و الإحساس هي محرك الشعر العربيّ الرئيس؛ "إحساس الشاعر بالأحداث وبالتجارب التي يمر بها يتحول إلى فكرة، هذه الفكرة هي الغرض الذي يصب في الشاعر

(1) العبسي، ابن معاوية بن قراد: (شرح ديوان عنترة بن شداد)، ت:(أمين سعيد)، المكتبة التجارية الكبرى مصر؛1936، ط(1)، ص126

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

عواطفه و أحاسيسه، وإبداع الشاعر يكون في تصميم موضوعه الشعري وصياغته باختياره الفكرة، وتنوعها، وترابط أجزائها وجريانها في نواحي مختلفة بالحياة. ([1])"

هذا الإرث الوجداني ظل حاضراً في الشعر الحديث، مستلهماً صوره ومعانيه، من ينابيع الشعر القديم، ليُعيد صياغة الانفعال بطرق جديدة تتماشى وروح العصر، وهو ما سيدرس عند الحديث عن الشاعر أحمد الخوالدة.

المبحث الثاني:

. أصداء العاطفة القديمة في الشعر الحديث:(قصيدة مختارة للشاعر أحمد الخوالدة).

وأول النماذج الشعرية التي وقع اختيار الباحثة عليها، قصيدة:

أَضغاثُ ظَبيٍ

طَـلَـلٌ لـذاتِ الـبُـرقـعِ أمسـى كـرأسِ الأصـلـعِ

أَقْـوَتْ بِـمـؤتَـةَ دارُهـا والـدَّمـعُ لـيـسَ بِـمُـرجِـعِ

ورسـومُ مـروِدَ مَـوقِـفـي فـارَ الـكـحـيـلُ بـأدمُـعـي

وَكَـأنَّـهـا إذ أقْـفَـرَتْ أضـغـاثُ ظـبـيٍ مُسْـبِـغِ

يـا ريـحُ مـهـلاً خَـبِّـري بِحِمى رُبى مـا تصـنـعي!

(1) فاطمة محمد إبراهيم محمد: (العاطفة في الشعر قصيدة ابن سفر المريني أنموذجاً)، جامعة الأزهر الشريف 2023م، ص 973

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

عَـفَـتِ الـرّســـومُ بِـدارِهـا أوَمـا كـفـاكِ تَـفـجُّـعـي!

والـوحـشُ يَـعـبـثُ بـعـدَمـا كـانـت لِـظَـبْـيٍ يَـرتَـعـي

فـإذا بِصَـــحـبِـي زاجـري: لا تَـبْـكِـهـا، لا تَـجـزِعِـي

فَـمَسَـــحْـتُ دَمـعـي طـاعـةً فـإذا الخِضـــابُ بـإِصـــبعي

لَـيـسَ الـخضـــابُ وإنَّـمـا يَـجْـري دَمـي مِـنْ مَـدَمـعـي

يـا كَـفُّ عَـوْنَـكِ فَـابـلَـعـي يـا عَـيـنُ وَيْـحَـكِ أَقْـلِـعـي

هَـجَـرَ الـرُّقـادُ بِـهَـجْـرِهـا وَ أَقَـضَّ بَـثّـيَ مَضْـــجِـعـي

لـيـلُ الـخَـلـيِّ كَـقـطـرَةٍ كـالـظّـبْـيِ عـنـدَ الـمـفـزِعِ

لـيـلـي سُـــلّـحـفـاةٌ أَنـا لـيـلـي جَـوادُ الَـمـنْـبـعِ

أَرَقٌ وَغِـربـيـبٌ وَهَـمـْـــــ ـــــمٌ وَالـفِـراقٌ بِـمَـجْـمَـعِ

وَنُـحولُ جِسْـــمـي والضَّـــنـى وأنـا لـوحـدي، مَـنْ مـعـي!

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

بـانَـتْ رُبـى مَـنْ لـن تـرى كَـمِـثـالِـهـا، فَـلْـتَسْـمَـعِ

إن أبصـرَتـكَ بِـطَـرفِـهـا مـن بـابِـلَـيٍّ فَـاجْـرَعِ

طَـرفٌ مِـتـى يـلـقَ الـكُـمـا ةَ الصِّـيـدَ سِـحراً يَصـرَعِ

تَـعـدو بِـمِشـيَـتِـهـا كـمـا يـعـدو الـمَـهـا مِـن مَـفـزِعِ

تـرمـي السّـهـامَ وخـافـقـي لـلـكُـلّ كـالـمُسْـتَـودَعِ

كُـلٌّ يصـيـبُ وَمُـوجِـعٌ وَمَـنِـيَّـتـي فـي الـمْـنـزِعِ

حـيـن الـتـقـيـنـا مَـرّةً سِـرّا بـذاكَ الَـمـوْضِـعِ

والـريـمُ كـانَ مُصـاحِـبـاً والشّـمسُ لّـمـا تسـطـعِ

غـازلـتُـهـا بـقصـيـدةٍ فَمَلَكتَهـا وَمَشَـتْ مَعي

والـريـمُ يَـمشـي خـلـفَـنـا والحُسـنُ قالَ: ألا اخشَـعِ

أدعـو بِسُـقـيـا يـومـنـا ولَقـد سَـقَـيـتُ بِمَـدمَعي

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أَوَ بَـيضـــــةٌ لـلـديـكِ أم بَعـدَ الفراقِ سَـــتَرجِعي؟!

يـا رُبَّ يـومٍ صـــــالـح فـي أرضِ مـؤتـةَ مـوُجِـعِ

يـوم الـتَـقَـيـنـا يـا رُبـى لُـقـيـا لأجـلِ تَـوَدُّعِ

ونـقشـــتُ فـيـهَ قصـــيـدةً وفـراقُـنـا لَـم يُـدفَـعِ

خـلـتِ الســـنـونُ وبـعـدَهـا أَذِنَ الـهـوى بِـتَـجَـمُّـعِ

وتـركـتُ فـيـكِ هَـديـةً ذاك الـكِـتـابُ أتـى مـعـي

وَعَـلَـيْـهِ أَبْـيـاتُ الـهُـيـا مِ كَمِثلِها لن تسـمعي

لا نَـدَّ لـي أبـدو فـلا يـبـقـى فَـتَـى لـم يَـركَـعِ

وإذا رَسَـــمْـتُ قَصـــيـدَةً كـلُ الـظِـبـاءِ بِـمَسْـــمَـعِ

لـيـلـى وسـلـمـى والـعـنـو دُ وريـمُ يَـفْـقِـدنَ الـوَعـي

كُـل الـنسـاءِ بـلا خـلا يُصـبحنَ مِثْل الخُشَّـعِ ([1])

(1) الخوالدة، أحمد: (النبي العاشق)، دار الرواية العربية . عمان، 2023، ط (1)، ص 5045

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تأتي قصيدة أضغاث ظبي في سياق شعري يجمع بين التقليد والحداثة، اعتمد الشاعر مجزوء الكامل في نظمها، فهذا الإيقاع الواسع المديد ينسجم مع طبيعة العاطفة التي يبثها الشاعر، مما يُنشئ ترابطاً موسيقياً داخليّاً يمنح النص إيقاعاً يتناغم مع الانفعال العاطفيّ الذي نلمحه في القصيدة، كما أن الوزن المنتظم القديم لم يمنع التنقل بين الصور المختلفة، والتقلبات الشعورية، بل عكس تذبذب العاطفة، بين الانبهار بحسن المحبوبة، والفقد، والحنين، هذا التمازج الذي أنتجه الوزن التقليدي، والتحليل النفسي الحديث، يعيش كل لحظة شعرية بروح متجددة.

نلمح عند الشاعر منذ مطلع القصيدة استحضار عادات الشعر العربيّ القديم، وذلك من خلال وقوفه على الأطلال، وبكائه الديار الخالية المقفرة من المحبوبة: " أقوت بمؤتة دارها والدمع ليس بمرجعي"، ففي هذا المشهد الذي رسمه بث لنا في زوايا الذاكرة بكاء القدامى على الأطلال، فها هو امرئ القيس يحث من معه على البكاء، وكأن دموعه وحده لا تكفي، وطرفة بن العبد كذلك وغيرهما من الشعراء، حتى غدت طقساً يتميز به الشعر العربي، فبكاء المكان بعدما خلى من سكانيه، برهان على صدق العاطفة، والشعور العميق بالحزن، وهذا ما ثار عليه أبو نواس* فيما بعد.

ومما يشي بارتباط الشاعر بالأدب القديم، كثرة حضور الظبي وهو من الحيوانات التي لها في الوجدان العربي حيّز كبير، حيث عنون القصيدة ب(أضغاث ظبي)، والأضغاث هي:" أحلام ملتبسة، ويُقال للحالم: أضغثت الرؤيا، والضغث: قبضة قضبان يجمعها أصل واحد" ([1]) ، أما الظبي غالباً ما ارتبط بالمرأة الرشيقة الفائضة أنوثة، ودلال، فكان معياراً للجمال، هذا التناقض الظاهر يُنتج مجازاً مُركباً؛ وكأن صورة الظبي التي لمحها ليست كاملة الصفاء، بل جاءت إليه كما تأتي الأحلام الجميلة، لكنها مشوشة، وكأنها مزيج بين حقيقة وخيال.

---

* أبو نواس شاعر عباسيّ، عُرف بحبه للخمر، وقال الكثير فيه، كما ثار على المقدمة الطللية قائلاً:

قل لمن يبكِ على رسم درس واقفاً ما ضر لو كان جلس؟!

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: (كتاب العين)، ت: (د. عبد الحميد هنداوي)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 2002، ط(1)، ج(3)، ص(18).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فهذا الشاعر المأخوذ بالوجد لا يملك رؤية الظبي في صفائه التام، بل يراه والدمع ينهمر، فتتشابك الدموع والظبي، فيتحول إلى قبضة صور متشابكة، مثل الأحلام الممزوجة بين دمع الخيال، ووجد الذكرى، فيتداخل كل هذا بعضه ببعض، كالقضبان في يد واحدة.

كما يظهر تشبع الشاعر بملامح العاطفة القديمة عند مزجه الدمع بالدم، فها هو الانفعال العاطفي يصل ذروته، في قوله:" ليس الخضاب وإنما يجري دمي من مدمعي"، هنا يلتقي الجرح بالحزن، حتى يصير البكاء نزفاً، وهذه الصورة نجد جذورها في الشعر القديم، وذلك بعد أن جعل القدامى الدمع قرين الدم، فالدموع ليست دموعاً عابرة، بل نزف داخلي؛ يؤكد فيه التلازم القائم بين الجراح التي تئن بها الأجساد، وتلك الخفية التي تصارعها الأرواح بعيداً عن الأعين.

يتخطى الشاعر هذه العواطف جميعها ليصل إلى ما كان جوهراً في الشعر القديم، حيث الفراق وأثره العميق في الروح، هناك ينبثق النزف الداخلي لمشاعر الحزن واللوعة، فها هو يوثق كل ذلك قائلاً: " هجر الرقاد بهجرها وأقض بثي مضجعي"، وهذا صدى واضح لأقوال القدماء عن السهر والقلق جراء فقد الحبيبة، حيث الهم الدائم يطرد النوم، ويجعل الليل مريراً، فيولد السهر والأرق، وهذا الموقف العاطفي من أرسخ تقاليد الشعر العربي، إذ الحنين مقترن بالمعاناة.

لم تقتصر العاطفة على الحب وحده، بل تسربت إليها إشارات الفروسية، فالمحبوبة تُشبَّه بالصياد القادر على قهر القلوب، وهذه استعارة قديمة تجمع بين الفارس الفذ والمحبوبة، وهنا يتجلى الإعجاب بالقوة الكامنة في جمالها الأخاذ.

كما مزج الشاعر بين الغزل والشكوى، وذلك للبين الذي حطم فؤاده وأرداه قتيلاً، فقال متسائلاً بعد أن أنهك الفراق قلبه: "بعد الفراق سترجعي؟"، هذا التساؤل الممزوج بالأمل، عل الجواب يرضي قلبه المكلوم، بهذا أعاد الخوالدة مواقف العذريين؛ الذين جمعوا العشق الصادق مع الفقد القاهر، ومن خلال هذا الامتزاج برزت العاطفة القديمة، التي كانت ترى الحب تجربة وجودية ممتدة على طريق الأمل واليأس.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

كما حضر اعتزاز الشاعر بنفسه رغم ألم فراقها ووجعه، فها هو ذاك الشجاع الذي لا ند له، فما إن يظهر حتى ركع كل فتى له، حيث قال:" لا ند لي أبدو فلا يبقى فتى لم يركع"، وهذا ما تميز به الشعر العربي منذ القدم؛ حيث يعتز الشاعر بذاته مهما كانت مكانة الممدوح، وخير مثال على ذلك أبو الطيب المتنبي.

وفي الختام كشفت القصيدة عمق تأثرها بالعاطفة القديمة؛ بدءاً من البكاء على الطلل، مروراً بوصف الظبي، وصولاً إلى بكاء الدم وحرقة الفراق، بهذا استطاع الشاعر الاتكاء على الأنماط العاطفية الأصيلة؛ ليؤكد أن الحب في جوهره ومعناه، ودمع الحنين غلّاب، هكذا يتبدى لنا أن العاطفة القديمة لم تندثر بل ظلت تنبض في النصوص الحديثة، بما تحمل من صور وجدانية راسخة.